الرسائل الربانية

رسالة خاصة

ماذا يريد الله من البشر؟ والإجابة واضحة فالله يقول:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء ٢٧، ٢٨].

وكأن الله سبحانه وتعالى يقول: أريد أن أغفر لكم.. أن أرحمكم وأهديكم، فكأن الغاية من الحياة والهدف من الدنيا أن نُقبل إلى الهداية.. ولهذا الهدف العظيم، فإن الله سبحانه وتعالى لا يتركنا هكذا وإنما يرسل لنا في كل لحظة رسالة تقودنا إلى الهداية..

وإذا كان هناك من يتساءل: ما ذنب غير المسلمين في الغرب الذين لم يسمعوا عن الإسلام؟ وكيف يحاسبون على ذلك؟.. فإننا نقول: إن الرسائل الربانية لا تنحصر في المسلمين فقط، وإنما تشمل الناس أجمعين..

ولا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا وبعث الله له رسائل لا حصر لها.

فهيا معاً نعدد رسائل الله لهداية البشر فنجدها مثل...

١ ـ الأنبياء: فقد أرسلهم الله ولم يكتف بنبي واحد، وإنما أنبياء كثيرين فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] أنبياء بعد أنبياء يرسلهم الله تبارك وتعالى للبشرية.

٢ ـ كتب سماوية كثيرة ومتعددة.. بلغات مختلفة ولأقوام كثيرين، حتى ختمت بالقرآن الكريم.

٣ ـ هذا الكون الواسع من حولنا: فمن يطالع الكون من حوله يشاهد بديع صنع الله تعالى، ولذا فالعلماء يقولون: إن الله أرسل للبشر كتابين: كتاب مقروء وهو القرآن الكريم وكتاب منظور وهو الكون، حتى لا تكون حجة لمن لا يقرأ، فكل ما عليه أن ينظر حوله ويتفكّر..

٤ ـ الإنسان نفسه وخلقه العجيب.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] انظر إلى نفسك كيف تتحرك، وكيف هي أعضاؤك، وكيف جهازك الهضمي، وكيف دمك الذي يسري في عروقك.... علم عظيم وحكمة تدل على خالق مبدع سبحانه..

هذه الرسائل كلها رسائل عظيمة وعجيبة وهي رسائل عامة لكن الله سبحانه برحمته بنا لم يكتف بذلك، لكنه بعث رسائل خاصة .... لكل واحد فينا رسالة خاصة به وحده تجذب قلبه، وتوقظ هذا الإنسان، وقد تهزه وتزلزل كيانه، لكن للأسف لسنا جميعاً نجيد القراءة.. لسنا جميعاً نفهم على الله ﷻ ولذا كان من أجل نعم الله على الإنسان أن جعله يفهم.. فمنهم من أدرك حكمة الله في تصريفه لحياته فيزيد تعلقه بالله سبحانه.. ومن وفقه الله

سبحانه هو من وفقه إلى فهم رسائله..

ومن سوء عمل الإنسان أن تزيد غشاوته، فلا يدرك هذه الرسائل ولا يفهمها، وثمود مثال على ذلك: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

ونحن نخص الحديث عن الرسائل الخاصة التي قد تكون خفية، مثل أن تقع عيناك على فقير معدم لا يجد ما يأكله أو يدور حول القمامة يحاول أن يجد فيها ما يسد رمقه.. فيقول المبصر: الحمد لله على العافية والنعمة.. أو أن ترى صاحب سلطان وقوة كيف ظلم وتجبر، حتى نزع الله عنه سلطانه وتركه معدماً، فيستيقظ المبصر ويقول: لن أعتمد على أحد، سأعتمد على الباقي الذي لا يفي أبداً.. ولا يضعف.

وممكن أن تكون الرسائل أكثر وضوحاً، لكنها تحتاج قراءة متأنية.. موت صديق مثلاً، أو مصيبة تقع لك فتتذكر أنك فعلت من الذنوب ما تستحق عليه أكثر من ذلك فيذكرك الله.. فالله يوقفك ويقول لك: أين تذهب؟!! لن تسمعها بأذنيك، ولكن ستكون واضحة أمامك في مشكلة تحدث لك: في مرض ابن أو نقص في رزق.. من لك غير الله؟ ... من سيأخذ بيديك غيره؟ وهذه الرسائل فقط تحتاج لقلوب نقية كي تفهمها.

وهناك أمثلة على الرسائل الواضحة تماماً التي لا بد أن نقرأها...

ومنها الرسالة التي أرسلها الله إلى مالك بن دينار، وهو أحد كبار التابعين.. كانت بدايته فاجراً شديد العصيان، يقول هو عن

نفسه: ما تركت ذنباً إلا فعلته.. بقيت على ذلك عمراً أؤذي الناس، وآخذ أموالهم، حتى جاء يوم رأيت رجلاً في السوق يشتري حلوى ويقول للبائع: أعطني وزدني فإن لي ثلاث بنات، وإن الرسول ﷺ بشَّر من يدخل البسمة على وجه بنات صغار بالجنة يقول: فوقع في قلبي حب البنات فتمنيت أن أتزوج، وأنجب بنتاً ***(لاحظ هذه رسالة شديدة الوضوح)*** فهذه رسالة لم تأت لمتدين وإنما لعاص.

يقول: فاشتقت للزواج ولكن تساءلت: من يزوجني وأنا على فجوري هذا؟!.. فقلّلت من فسقي بعض الشيء.. وأنجبت ابنة كما طلبت من الله سميتها (فاطمة) أحببتها بشدة وكلما كبرت كلما قوي الإيمان في قلبي وضعف الفسق والفجور حتى أصبحت بنت ثلاث سنوات، ورغم أنني كنت سكيراً، إلا أنني قلّلت من الشرب كثيراً، إلى يومٍ كنت أشرب فيه فأزاحت بيديها الكأس عن فمي، فشعرت أن يد الله هي التي أزاحته.

حتى حدث أمر عجيب.. فجأة.. ماتت فاطمة.. يقول: فرجعت أسوأ مما كنت من قبل، لا أكاد أستيقظ من الخمر.. ولم يكن لديَّ من الإيمان ما أصبر به.. حتى جاءت ليلة، فقلت: لأسكرنّ كما لم أسكر من قبل.. فبقيت أشرب وأشرب حتى سقطت مغشياً عليّ فرأيت في المنام رؤيا عجيبة، رأيت وكأنني يوم القيامة والهول عظيم، والبشرية كلها محشورة إلى الله تعالى وقد دنت الشمس من الرؤوس، فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى رقبته، ومنهم من يسبح في عرقه.. ثم بدأ النداء على أسماء البشر، فلان بن فلان

هلمّ للعرض على الجبار، حتى سمعت اسمي ينادى للعرض على الجبار.. فاختفى البشر من حولي ووجدت نفسي لوحدي في موقف العرض والحساب، واذا بثعبان ضخم يأتي فاتحاً فاه ليبتلعني، فركضت وركضت حتى وجدت رجلاً عجوزاً، فقلت له: أنقذني من هذا الثعبان فقال: يا بني أنا ضعيف، ولا أستطيع إنقاذك ولكن أركض في هذا الاتجاه لعلك تنجو فركضت كثيراً حتى وجدت النار أمامي والثعبان خلفي.. فبقيت أبكي حتى وجدت الرجل العجوز يبكي من حالي، فأشار إليّ في اتجاه آخر فكان جبل، وعلى الجبل أطفال صغار هم من ماتوا وتركوا آباؤهم وأمهاتهم في الدنيا.. فنادوا على ابنتي: يا فاطمة أدركي أباك.. فجاءت فاطمة فعرفتها وعرفتني فأخذتني بيدها اليمنى، ودفعت الثعبان بيدها اليسرى، وجلست في حجري كما كانت تفعل في الدنيا، وأنا أرتعد فقلت: يا بنيتي ما هذا الثعبان العظيم؟ قالت: هذا عملك السيىء، فقلت: وما هذا الشيخ العظيم؟ قالت: هذا عملك الصالح أنت أضعفته حتى لم يستطع أن ينقذك، ولولا موتي لما وجدت من ينقذك في هذا اليوم، ثم نادتني: يا أبت، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]... فاستيقظت وأنا أقول: قد آن يا رب، قد آن يا رب.. فقمت واغتسلت وركضت إلى المسجد فإذا أذان الفجر.. فدخلت المسجد والإمام يقرأ نفس الآية، يقول: ففهمت على ربي.. وعلمت أنني إن لم أعد إليه اليوم، فقد لا يقبلني بعد اليوم.

وأنا أدعو كل من أتاه الله رسالة معينة أن يخبر بها.. فربما

نتقرب جميعاً إلى الله بذلك.

قصص من الواقع

ما شاء الله... لا حول ولا قوة إلا بالله

كنا عائدين من المصيف، وكنا نـتقل أربعة سيارات، فنام سائق إحداها، فانقلبت رأساً على عقب، ورغم أنه لم يمت منا أحد إلا أننا حين استيقظنا علمنا أنه كان ممكن للإنسان أن تنتهي حياته في لحظة، ولم أكن محجبة وكنت بعيدة عن القرآن تماماً، فبدأت أعود إلى الله..

بعد التزامي بحوالي أربعة سنوات كان يقلقني جداً هل قبلني الله أم لا؟ هل هو راض عني أم لا؟ وفي إحدى الليالي وأنا أستعد للنوم كان الموضوع يـشغلني جداً، فجاءني في النوم كأن أحداً يقول لي: أتريدين معرفة هل الله راضٍ عنك أم لا؟ تعالي لتري.. فرأيت كأن تلـكوباً كبيراً جداً ينظر للسماء فنظرت فيه فوجدت شكل السماء جميلًا جداً، فقلت: ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، واستيقظت وأنا أردد هذه الكلمة.. فعرفت كأن الله سبحانه يبلغني رسالة أن استمري وأكملي.

رسالة رمضانية خالصة

والحقيقة أنا عندي شخصياً رسالة أحفظها تماماً وهي: «أنه بعد أي ذنب، لا بدَّ أن تحصل للسيارة حادثة أو خبطة» وبعد الذنب أنتظر هذه الحادثة وأتوقعها.. وهذا شيء لا يضايق؛ لأنه إن شاء الله خيراً.. فبعض الناس يذنبون فيمهلهم الله ويحسن إليهم فيتمادون

في هذا الذنب ظانين أنه صغير، وأنه لو كان فيه مشكلة لحاسبهم الله وعاقبهم عليه فيبقون على الذنب.. لكن من ينبهه الله برسالة على الذنب الذي حدث، فإن هذا معناه أنه يريد أن يقول له: قف.. فأنا شخصياً أضع لنفسي قاعدة في رمضان، أسأل الله المداومة عليها حتى الموت، هي المحافظة على الصلوات الخمس، صف أول في الجماعة الأولى على يمين الإمام، وأحاول بكل قوة أن أنفذها..

وفي إحدى الأعوام كنت متعوداً أن أصلي العصر في النادي ثم أذهب لممارسة الرياضة، حتى قبل المغرب ثم أفطر في البيت.. وفي أحد الأيام دخلت النادي، فسمعت صوت الإمام من المسجد يقول: سمع الله لمن حمده.. للأسف فاتتني الركعة الأولى، ولكن لا بأس سنلحق الجماعة الأولى إن شاء الله.. فجاء خاطر في ذهني أن أذهب لحجز الملعب، لأنني ببساطة سأكون بالجماعة ما دمت قد فاتتني تكبيرة الإحرام.. ولأن الملاعب في رمضان تكون مزدحمة جداً.. وبالفعل ذهبت إلى الملعب ووضعت أغراضي، فقابلني شاب، فقال لي: كلمة واحدة.. اعتذرت له للصلاة.. وفي وسط الحديث سمعت الإمام يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وهنا تذكَّرت مقولة جميلة لأحد الصَّالحين يقول: ليس العجب من عبد يتذلَّل إلى سيده، لكن العجب كل العجب من ملك يتودد إلى عبده.. فالله سبحانه هو الذي يرسل لنا إشارات ورسائل كي نفهم ونعود.. وكأنه يقول: أما آن لك يا عبدي، أن تعود!!

فتضايقت وندمت.. ضاعت الجماعة الأولى في رمضان!..

فركضت إلى المسجد، وأنا أركض لويت قدمي فبقيت ثلاثة أسابيع لا أستطيع المشي عليها، لا ألعب رياضة ولا شيء.. فهي رسالة «رمضانية» خالصة..

الحلم قد يكون رسالة

أرسل الله ﷻ لي رسالتين لكنني لم أفهمها.. وهما وفاة أخي الذي كان عمره تسعة عشر عاماً فقط، ثم مات بعده والدي في نفس العام.. لكن الرسالة الأخيرة أنني حلمت بأحوال الموت وما صاروا إليه، فهذا جعلني كأنني أرى الموت وأتأكد أنه يمكن أن يأتي في أي لحظة، وكلما نويت على ذنبٍ فالله بفضله العظيم يغمرني، ويبعدني عن هذا الفعل..

لو متُّ كيف سأقابل ربيّ... وماذا سأقول له؟

اسمي هشام.. محاسب.. قبل فترة التقرُّب من الله سبحانه وتعالى.. نشأت في أسرة متدينة، تعرف الله، لكن للأسف كنت بعيداً عنهم وعن الصلاة، ربَّما أصلِّي الجمعة فقط. ومع فترة الجامعة بدأت المعاصي الفظيعة في حياتي، السهر والمخدرات.. وكنا نفعل كل شيء ولا نخاف من أي شيء! والحياة بالنسبة لنا كانت ماذا سنفعل في الليل؟ ولا أي هدف آخر.. وفي أحد الأيام شربنا «بانجو» كالعادة وضحكنا وسهرنا.. لكن عندما رجعت إلى البيت شعرت أن الدنيا سوداء أمامي..

وشعرت أن ملك الموت سيقبض روحي.. وكأن البيت كله ظلام وكأن شيئاً ما يخنقني وسألت نفسي كيف سأقابل الله؟ وآثار

المخدرات في جسمي.. فبقيت أدعو: يا رب لو تركتني فلن أذهب للمخدرات بعد اليوم أبداً.. والحمد لله نمت واستيقظت.. فبقيت قريباً من الله أكثر من يوم..

صحيح لم ألجأ للمخدرات، لكن السهر في الديسكو والسكر والخمر، وكل هذا لم أنقطع عنه.. وفي إحدى السهرات وبعد أن ذهبنا لبيوتنا فوجئت بمن يتصل بي يقول: تصور فلان مات.. قلت له: كيف.. كان معنا أمس وكان طبيعي جداً شرب وضحك وكذا.. قال لي: أهله ذهبوا ليوقظوه وجدوه ميتاً.. فذهبنا إلى بيته وجدناه على السرير.. لا حول ولا قوة له..

وسبحان الله بعده بفترة قصيرة.. أحد أصدقائي كنا نشاهد عملاً ما، وكان بجانبي أحد أصدقائي، وفي لحظة وقع في جورة المصعد ومات في لحظة.. كل هذه الأمور كان المفترض أن تؤثر فيّ وتعيدني إلى الله لكن للأسف كانت تأثيرات وقتية فقط..

ظروف العمل جعلتني أسافر للخارج وأستورد منتوجات وهكذا بدأت المعصية عندي تكبر جداً؛ يعني غرق في المعصية وابتعاد تام عن الله، وفي حينها.. جاء لي أبي في الحلم كان يمشي في الشارع، وقابلته فأردت أن أسلم عليه وأقبّله، فوجدته يدير وجهه للناحية الأخرى.. بدأت أنادي عليه، فتظاهر أنه لا يسمعني.. ومشى في اتجاه آخر تماماً، ثم حلمت بحلم آخر، وأنا أبكي في غرفتي، وهو يجلس في غرفة أخرى، ولا يريد أن يأتي ليكلّمني ولا يسأل عن سبب بكائي..

من هنا شعرت أن هناك شيئاً خطأ في حياتي.. ولم يقتصر

الأمر على هذا الحد ولكن امتد إلى أن اتصلت بي أختي وقالت لي: أبي رحمه الله غضبان عليكَ جداً.. فلقد حلمت فيه، وقال لي: الحقي أخوكِ هشام يسقط ويقع.. فبدأ الخوف من الموت يتملكني.. وبدأت أسأل نفسي...

لو مت كيف سأقابل ربي.. وماذا سأقول له؟

بدأت أخاف جداً من الله ومن لقائه.. وبدأت أكره المعصية بشدة إلى أن يسّر الله لي صديقاً، أعطاني شريطاً شدني جداً وجذبني إليه.. كأنه يكلمني أنا، كان الكلام يدور فيه حول أنك لو أردت أن تقترب من الله وتحركت نحوه سيتجه هو إليك ويأخذ بيدك.. فتقرّب إلى الله يتقرب إليك.. واتجه إليه كلما كنت تتجه إلى المعصية، فالمبادرة ملك لك وحدك والرأي أنت صاحبه.

طبعاً أنا شعرت بضرورة التوبة إلى الله سبحانه وتعالى وهجر المعاصي.. بدأت أشعر بكرم الله سبحانه وتعالى ونفسيتي بدأت ترتاح.. حتى لم أعد أشعر بخوف من الموت أو من لقاء الله سبحانه وتعالى..

فحاولت حضور الدروس والذهاب الى المساجد، وتغيير الأصحاب.. وهذه بالذات مهمّة جداً: أن تغير أصحابك، تبتعد عنهم وتبدأ تغرس نفسك في بيئة صالحة طيبة، صحبة مؤمنة.

والحمد لله ذهبت إلى الحج هذا العام... وكنت قد خطبت فتاة لكنّها لم تكن ملتزمة، فكنت أدعو الله سبحانه لو كان فيها خير قرّبني إليها وقرّبها إليّ، ولو كان فيها شر، أبعدها عنّي.. وشعرت حينها أنَّ الكعبة تهتزُّ، والمكان كلُّه يرتج..وأنا نفسي أرتج من

داخلي، والحمد لله وفَّقني الله لزوجة صالحة.

وأنا موقن أنَّ الله غفورٌ رحيم.. وكنت أشعر بأهميَّة العودة إلى الله لأنَّه سبحانه أعدَّ الجنَّة، ولا تصلح إلاَّ للمتَّقين.. لأنَّ الله أعدَّها لهم... إذاً لا بدَّ أن أتَّقي الله لأدخلها.. فأمامي طريق واحد لا غير.. لا يصح غيره ولا يصلح..

ما هي الخطوات العملية للإقبال على الله؟

الحقيقة ناس كتيرون بيسألوني عن هذا الأمر.. بيريدون خطوات عمليَّة للإقبال على الله والرجوع اليه.. واسمحوا لي أن أجيب بشكل عملي ومحدَّد.. خطوات واقعيَّة محدَّدة تماماً لضبط النَّفس والالتزام مع الله وهي...

خمس نقاط ليست من عندي، ولكن الرسول ﷺ نبَّه إليها وهي مفاتيح للرُّجوع إلى الله :

أوَّلاً: الصَّلاة في أوَّل الوقت.. والمواظبة عليها، وهي أكثر ما يرضي الله، وأكثر ما يجعل العلاقة قائمة بينك وبينه..

ثانياً: ذكر الله.. ولو خمس دقائق في اليوم.. بأي صيغة: أستغفر الله... الحمد لله.. لاإله إلاَّ الله...

ثالثاً: الدعاء إلى الله كل يوم.. أكيد أنك تحتاج إلى أشياء كثيرة من الله في الدنيا والآخرة، ادع بأي لغة، بما تشعر به وتحسه.

رابعاً: المحافظة على قراءة القرآن كل يوم.. ولو صفحة واحدة.

خامساً: البعد عن أصحاب السوء... أنا موقن أنك ستكون إنساناً آخر..

واحبُّ أن أقول شيئاً... يعني: هشام واصحابه بعث الله لهم رسائل بموت صديقهم.. هذان الصَّديقان ما ذنبهم؟ ولماذا لم يبعث الله لهم رسائل؟... وما أحب أن أقوله:

أنَّ الله لايترك أحداً أبداً الَّا ويبعث له رسالة، لكنَّها تؤيلت بالرَّفض...

أريد أن أختم برسالة جميلة جداً، ليست منِّي، ولكنَّها رسالة ربَّانيَّة... حديث قدسي جميل يكلِّمنا الله فيه من عليائه، يقول: **«ياعبادي إنِّي حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّماً.. فلا تظالموا.. يا عبادي كلكم جائع إلَّا من أطعمته.. يا عبادي كلكم عارٍ إلَّا من كسوته. فاستكسوني أكسكم.. يا عبادي إنَّكم تخطئون بالليل والنَّهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً.. فاستغفروني أغفر لكم.. يا عبادي إنَّكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني.. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.. ياعبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك ممَّا عندي، إلَّا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.. يا عبادي إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثمَّ أوفيكم إيَّاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلَّا نفسه»**. [رواه مسلم، عن أبي ذر عن النَّبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى] هذه رسالة ربَّانيَّة، أتمنَّى أن نفكِّر فيها، ونتعامل مع رسائل الله تبارك وتعالى باهتمام وثقة....